

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

La vision critique du structuralisme de Claude Levi Strauss.

فاروق سلطاني^{1*}، مخبر الشعرية الجزائرية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر

f.soltani@univ-setif2.dz

عمار طرابلسي²، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، الجزائر

a.trabelsi@univ-setif2.dz

حمدي باشا ياسمين³، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر

hamdibacha.yasmine@univ-guelma.dz

تاريخ قبول المقال : 27-11-2024

تاريخ إرسال المقال : 07-08-2024

الملخص: شكلت البنيوية أحد أكثر المذاهب رواجاً في الفترة المعاصرة، حيث كان لها حضور قوي داخل التوجهات العلمية والأكاديمية، وحظيت بنقاش فكري وثقافي واسع في الوسط العالمي، بما قدمته من تصورات حول وضعية الإنسان واللغة والمجتمع، وقد مثل "كلود ليفي ستراوس" أحد أهم الأعلام التي ساهمت في شيوع وتطور البنيوية فكرياً، بما قدمه على وجهين مختلفين، الأول عندما حاول نقد البنيوية داخلياً، والثاني محاولته لتقديم نموذج بنيوي خالص يمكن الاعتماد عليه في تفسير الظواهر العلمية والثقافية والاجتماعية، حيث ستناقش هذه الدراسة توجهات كلود ليفي ستراوس البنيوية، وتسلط الضوء على المجريات البحثية الجديدة التي قدمها، وتتناول ضمن كل محاورها رؤية نقدية للتصورات البنيوية عامة، ولنتائج كلود ليفي ستراوس خاصة.

الكلمات المفتاحية: الرؤية النقدية، كلود ليفي ستراوس، البنيوية، نقد البنيوية.

Abstract: Structuralism has been one of the most popular doctrines in the contemporary period, as it had a strong presence within scientific and academic trends, and enjoyed wide intellectual and cultural discussion in the global environment, with what it presented in terms of perceptions about the status of man, language and society. Claude Levi-Strauss was one of the most important figures who contributed to the spread and development of structuralism intellectually, with what he presented in two different aspects, the first when he tried to criticize structuralism internally, and the second was his attempt to present a pure structural model that can be relied upon to explain scientific, cultural and social phenomena, as this study will discuss Claude Levi-Strauss's structuralist orientations, shed light on the new research trends he presented, and address within all its axes a critical vision of structuralist perceptions in general, and the results of Claude Levi-Strauss in particular.

Keywords: critical vision, Claude Levi-Strauss, structuralism, criticism of structuralism..

مقدمة:

ضمن التناولات العديدة لموضوع البنيوية، بقيت الكثير من الأفكار داخلها سجيئة فهم عام ومقيد، ولم تحظى بالتداول اللازم والكافي، لتفسيرها وفهمها وتفكيكها ونقدها واستخلاص نتائجها وتحديد وسائلها، لهذا، فإن هذه المحاولة تتمثل أساساً في إعادة بعث النقاش حول البنيوية، وتسلط الضوء على واحد من أكثر رموزها رواجاً كلود ليفي ستراوس. فهو أكثر البنيويين المعول عليهم في تقديم نموذج مستخلص من قراءته لتاريخ الأفكار التاريخية والأسطورية واللغوية وحتى علاقات البنية الذاتية بين البشر؛ على هذه الأسس تم تخصيص الدراسة لفهم مشروع ليفي ستراوس باعتباره محاولة نقدية وتجديدية للبنيوية الكلاسيكية، فهل يعتبر مشروع ستراوس حول البنيوية نموذجاً منهجياً والأنثروبولوجياً متكاملًا من حيث التصور والبناء؟

المبحث الأول: المرجعية الفكرية والتاريخية لمفهوم البنيوية.

لم تكن البنيوية بمعزل (مستقلة) عن الأخذ من تاريخ سياقات الفلسفة الحديثة والمعاصرة، فقد حملت تشكلاتها الأولى تأثيراً بارزاً بمحاولات تجاوز التفكير التقليدي، والتأسيس لمنظور يواكب تقدم حركة البشر، المعرفة، العلم..؛ لذلك يُرى فيها التقاطعات مع مستويات التنظير لحالة المجتمع. وبما أن للبنيوية عدّة أسماء ظهرت لتعزيز حضورها كمنهج علمي ولغوي قادر على ضبط الصورة العامة للمعرفة والنص، فإن كلود ليفي ستراوس (1908 - 2009)، يمثل أحد أبرز المحطات التي ينبغي أن تُناقش بجديّة ومثانة.

المطلب الأول:

سارت البنيوية مع ستراوس، بوجهة نظر المجتمع الفرنسي -تقريباً-، حيث تصاعد صوت الاشتراكيين الفرنسيين مع تزامن انحلال الرؤى الوجودية، التي لم تعد فلسفة شاملة لقيادة المجتمع من حيث بنيته وثقافته وحتى رغباته في تحقيق الانسجام والتوازن، وحمل هذا التصدع بين النظرية الوجودية والبنائية شكلاً يقترب من العدائية الفكرية، حيث كانت الردود والانتقادات ترد بشكل دوري بين ليفي ستراوس وجون بول سارتر.

وبينما كانت النظرية الوجودية -لسارتر- (1905-1980) تستلهم فكرة التراتبية عن فلسفة الألماني فريدريك نيتشه (1844-1900)، اهتمت ببنوية -كلود ليفي ستراوس- بتطوير مفاهيم إميل دور كايم (1858-1917) الاجتماعية، فهي الأكثر تناسبا مع التكوين الفكري والنشأة الاجتماعية لكلود ليفي ستراوس، الذي اهتم مبكراً بهذا الفهم الاجتماعي الشامل لطبيعة عناصر المجتمع؛ "اتسمت البنيوية

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

التي وصل إليها كلود ليفي ستراوس؛ بأنها أخذت طابعاً شديداً الصلّة بمفاهيم إميل دوركايم ومارسيل موس (1872-1950) السوسيولوجية الشديدة الارتباط بمفهوم البناء والتنظيم الاجتماعي¹، لكن رغم هذا، فإن كلود ليفي ستراوس يُعلنُ عنه كأول قطيعة مع الأبحاث الفلسفية والاجتماعية، التي لم تهتم بتأسيس الجانب النظري للعلوم الإنسانية والاجتماعية، أو بعبارة أخرى هي التأسيس الأول لنظرية تهتم بتوسيع العلاقة بين الإنسان والعلوم، وتجاوزاً للفلسفات ما قبل البنيوية (الرومنسية، الواقعية، الإنسانية..).

وقد بدى تأثر التأسيس النظري لمفهوم البنية عند كلود ليفي ستراوس ملازماً في أحيان كثيرة لمبادئ أطروحة الاشتراكيين الذين تزعمهم الألماني كارل ماركس (1818-1883)، كما أن الحركة الماركسية كانت واسعة الانتشار في البيئة الفرنسية، لدى الطلاب والنخبة الجامعية، فهذا الجو الفكري والمعيشي، كان حضوره مُسقطاً على الأفكار التي اشتغل بها كلود ليفي ستراوس في بناء المفاهيم الأولية لنظريته.

اعتمدت البنيوية عند كلود ليفي ستراوس على الفهم الكلّي الذي يُعنى بربط جميع العناصر التركيبية واستخراجها في صورة واحدة واضحة الدلالة والمعنى، وخلال تعمير هذا النسيج يصبح هنالك تفاعل بين العناصر لتشكيل نفسها في بنية واحدة، وهو التصور الذي أقره فرديناند دو سوسور (1857-1913) على ظاهرة النص، بينما حاول كلود ليفي ستراوس تعميم هذا البناء على الأنثروبولوجيا، بوصفها مجالاً حيويًا يمكن من خلاله إبراز أن البنيوية منهج قابل للتجريب والتعميم. غير أن هذا الاستدلال بالذات حمل معه مزيداً من الارتباك وعدم الوضوح؛ خاصة عندما يُقرأ رأي البنيوي الآخر جون بياجيه (1869-1980) بأن البنيوية في النهاية "ليست بأيّ حال من الأحوال فلسفة وإثماً منهج للبحث العلمي"²، وهنا يكمن الخلل الأول في تقديم البنيوية، على اعتبار أنها محاولة منهجية لضبط البحث العلمي وأنها ليست منهجاً عاماً قابلاً للأخذ والتجريب على المجتمعات الإنسانية، فهي ليست فلسفة لمعالجة القضايا الكبرى التي تنتاب المجتمع المعاصر.

يُفهم من هذا التباعد النظري بين البنيوية والفلسفة على مستوى طروحات كلود ليفي ستراوس، أن النظرية البنيوية تشكلت من عصارة التاريخ الفلسفي، آخذة من الفلسفات الاجتماعية مرتكزا للانتقال من الصيغة النظرية الأدبية واللغوية، إلى صيغة النظرية الفلسفية أو المذهب الفلسفي، وبما أن البنيوية لم

¹ عبد الله عبد الرحمن يتيم: الأنثروبولوجيا الفرنسية تاريخ المدرسة وآفاقها، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق (سوريا)، الطبعة الأولى، 2019، ص 120.

² جان بياجيه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، بيروت (لبنان)، 1985، ص

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

تكن على استعداد تام للانتقال إلى نظرية إبستيمولوجية، فقد ظلت تتنازع حول الحضور التاريخي في سياق المناهج الفلسفية المعاصرة.

المطلب الثاني:

في محاولة لمواكبة هذا الفراغ بين الأطر النظرية للبنيوية والفلسفة، حاول كلود ليفي ستراوس إعادة رسم خريطة البنيوية، انطلاقاً من محاربتها للنزعة الإنسانية - تلك التي تعلي من قيمة الذات - على حساب كل الأشياء، وإعادة استتوَضاع البنيوية محل البحث عن تطابق بينها كمنهج للعلوم وكرؤية إنسانية للمجتمع، وذلك بإعادة فهم وتحديد موضوع العلوم الإنسانية في حد ذاته "وتمثل إنجاز كلود ليفي ستراوس في عزل نظام مستقل ذاتياً عن الواقع، أي النظام الرمزي، الذي يوجد مستقلاً عن الأشياء، التي يرمز إليها، وعن البشر الرامزين. فالمعاني الثقافية كامنة في الأنظمة الرمزية وهذه المعاني مستقلة عن العالم الخارجي، وسابقة عليه من ناحية، والذوات الإنسانية من ناحية أخرى. وهكذا فإن للعالم وجوداً موضوعياً فقط في الأنظمة الرمزية التي تمثلها"¹، وهو ما اعتبرته بنيوية كلود ليفي ستراوس تجاوزاً للنزعة الإنسانية والطبيعية التي كانت تدعي بأنه يمكن تحقيق المعرفة بعيداً عن الأنظمة الرمزية. وقد تبرز هذه الفكرة غالباً عن البنيويين بما هم ضد أدلجة المناهج والانسحاق في إيديولوجية إنسانية تحدد مصير المعرفة والإنسان بالانفكاك التام عن عالم الرموز.

تتخلل هذه الفكرة أيضاً نوعاً من اللا-وضوح على مستوى تقديمها كإعادة نظر في حال المخارج التي استشرفتها النزعتين الإنسانية والطبيعية، فهي دعوة للتعميم والشمول، وجاءت كرد فعل على المناقشات الأولى لحظة تأسيس البنيوية وشيوع المذاهب الإنسانية بمختلف أنظارتها، لكنها لم تعرف تطوراً على المستوى الفلسفي أو التطبيقي إذ ارتكنت إلى النديّة النظرية دون الاعتبار للمآلات الواقعية التي ينبغي أن تبحث النظرية الفلسفية على الحلول المناسبة لها.

تحاول البنيوية مرة أخرى، إيجاد منفذ عبر تحليلها لتاريخ اللغة والأسطورة، والأنثروبولوجيا عموماً، فهي تبحث عن تبرير النتائج التاريخية بتعميم تطبيق المنهج، بالرغم أن الاهتمام الأول كان ينصب حول اللغة فقط، ومما يمكن جعله محطة للنقد؛ هو تعميم تطبيق المنهج من اللغة كبحت علمي إلى التاريخ كبحت مفتوح على الأنثروبولوجيا، حيث يقول كلود ليفي ستراوس "تقود هذه الملاحظات إلى فرضية جديدة تضعنا في قلب المسألة. في الواقع نحن نفترض أن الوحدات المؤلفة الحقيقية للأسطورة

¹ سايمون كلاك: أسس البنيوية (نقد ليفي ستراوس والحركة البنيوية)، ترجمة: سعيد العلمي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة (مصر)، 2015، ص 9-10.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

ليست هي العلاقات المنعزلة بل رزم علاقات، وأن الوحدات المؤلفة لا تكتسب وظيفة دالة إلا بشكل تركيبات هذه الرزم"¹، فهنا يُلاحظ أمران الإيهام في الطرح والتعميم في الافتراض، وهما وسيلتان لا يمكن بأي حال أن يستقيما مع حالة دراسة مجتمع بشكل إنساني.

إذن، فالبنيوية عند كلود ليفي ستراوس امتزجت بتيارات الفكر الاجتماعي والشمولي، لتستمد جذور تأسيسها، ولم تكن واقعة علمية مستقلة، وبالرغم من هذا الترابط فهي تحاول الظهور في هيئة المنهج العلمي والحل الأنثروبولوجي، وهو ما يبدو عليه عدم الوضوح، ونقص الاستشراق، وتواضع فهم حالة المجتمع المعاصر. والوجه الآخر الذي خاضت به بنيوية كلود ليفي ستراوس الدفاع عن أحقيتها، هو نقد الوجودية والظاهرانية على أساس أنهما نزعتين زكيتا الذات والواقع على حساب التركيبة الموضوعية.

المبحث الثاني: قراءة كلود ليفي ستراوس من داخل البنيوية.

شكلت طموحات كلود ليفي ستراوس في الانتقال بالبنيوية نحو البحث الاجتماعي، اهتماما مركزيا في أعماله، وكانت البداية من محاولة تشخيص الركائز والخصائص والميزات الفردية التي يمكن أن تنتقل إلى صفة الكلية أو تجتمع فيها عناصر متعددة من المجتمع، فهي الصيغة التي يمكن تطويرها إلى بنى اجتماعية، مما يسعها في أن تتحول إلى عملية نسقية تبادلية داخل الواقعة الاجتماعية.

المطلب الأول:

يخوض كلود ليفي ستراوس في مسار نقدي تارة، واستدلالي تارة أخرى، في تقييمه لتاريخ القبائل والانتشار الجماعي أو حتى الاختفاء وإعادة التشكل، فيريد أن يصل إلى معادلة واضحة تضبط العلاقات بين الأفراد كعناصر والمجتمعات كبنى "وفي جميع هذه الحالات يبقى شيء ما يتيح الملاحظة التاريخية استنتاجه تدريجيا بنوع من التصفية يسمح بمرور ما قد يسمى مضمون الأنظمة العامة والعادات المعجمي، فلا يحتفظ إلا بالعناصر البنيوية"²، فهنا تتحدد عند كلود ليفي ستراوس القدرة على تحكيم الواقعة التاريخية من خلال دراسة المجتمعة بمشتركات، ثم يردف قائلا "أن هذه العناصر، في حالة النظام الثنائي، ثلاثة على ما يبدو هي: ضرورة النظام؛ ومفهوم المبادلة، المعتبر كشكل يسمح بدمج المقابلة بين الأنا والغير في الحال، وطابع الهبة التركيبي. ويعثر على هذه العوامل لدى المجتمعات المدرسة كلها"³، وهكذا فإن كلود ليفي ستراوس يعتقد بأن النظام الثنائي والتبادلي، هو نظام عام قائم ووظيفي

¹ كلود ليفي ستراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دون طبعة، دمشق (سوريا)، 1977، ص 250.

² كلود ليفي ستراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، مصدر سابق، ص 42.

³ المصدر نفسه، نفس الصفحة.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

يؤدي دوره، حتى وإن جهلته هذه المجتمعات والشعوب البدائية، فهو حالة مستقرة وعامة يمكن إسقاطها على الدراسة التاريخية عموماً واستنتاج النتائج عبرها.

وعلى الأرجح فإن كلود ليفي ستراوس، يفكر في مسألة المقايضة والتبادلية والثنائية بالتصور اللغوي للبنيوية، فهو يتناقل بين مسألة البنى الأولية للقرابة إلى الفكر المتوحش، في شكل نمذجة لنفس القواعد التي تربط اللغة بالتصور -عنده- بما هي إسقاطات تسير نحو تحقيق الفهم الاجتماعي، "ذلك هنا كعلاقة بين معنى التحول: إما الرجال إلى ثعالب الماء، أو ثعالب الماء إلى رجال (في حالة مجازية واحدة: جزء من الرجال، في المجاز الآخر: ثعالب الماء تتزاوج مع النساء كرجال)"¹، بالرغم من أن الواقعة اللغوية صورية، والحالة الاجتماعية واقعية، فإن كلود ليفي ستراوس يتخفى بين هذا التداخل بتبريراته حول علاقة التاريخ بالأسطورة.

لعل أبرز ما يُشار له هنا؛ هو حصر المجال الفكري لكلود ليفي ستراوس، فقد حدد مجموعة من المفاهيم والسياقات الفكرية، التي يريد من خلالها تبرير مخرجات البنيوية، انطلاقاً من التفضيلات التي قام بها، والحال أن هذه العناصر التي انتقل منها ليست مسلمات علمية، بل هي خيارات اتجه نحوها ارتكازاً على أبحاثه وتأثره بأعمال سابقة، فهو بذلك يحدد سيرا تاريخياً خاصاً للبنيوية، لكنه لا يقدم ما الذي ينبغي أن تكون عليه في تطوراتها اللاحقة، فالدراسة عنده متوقفة على تفكيك البنى السابقة والراهنة، بدون تحديد العلاقات الاحتمالية.

والحال أن كلود ليفي ستراوس لم يتمكن من تجاوز البنيوية عند المؤسسين السابقين، غير أنه سار في أمل تشديد المنهج البنيوي ومطابقته على الواقعة العلمية، التاريخية، الاجتماعية والأنثروبولوجية، وحتى هذا المخاض لم يستمر طويلاً، فقد تراجع عن الصرامة العلمية لصالح الدراسة الموضوعية للإنسان، نتيجة عدم مواكبة البنيوية لحركة التقدم العلمي، واهتمامها في الأول بالعلم المنهجي حصراً، "إنه لمن الاستثنائي بالنسبة للأنثروبولوجيين البنيويين أن يُقال لهم: إن تأويلكم لهذه الظاهرة أو هذه المجموعة من الظواهر ليس بالتأويل الذي يحسب حساب الوقائع على أفضل وجه"²، وهو ما يبدو توجهها جديداً غير الذي كان مستقراً عليه في أعماله الأولى حول الصرامة العلمية والمنهجية، إذ يكون هذا التحول بارزاً أكثر في الجزء الثاني من كتابه "الأنثروبولوجيا البنيوية"، بصدد قوله أيضاً "ولذلك فإن علينا أن ندرك أنّ

¹Mireille Marc-Lipiansky: le structuralisme de Lévi – Strauss, Payot, Paris (France), 1973, p 62.

²ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، ترجمة: نادر ديب، دار الفرق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، دمشق (سوريا)، 2008، ص 129.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

فرضيات العلوم الإنسانية لا يمكن نقضها، لا الآن ولا في أي حين آخر¹، فيظهر هنا متغيران أساسيان، الأول؛

بالتأويل، والثاني المتعلق بفرضيات العلوم الإنسانية، وهما أمران لم يكن من الممكن تحديد هويتهما داخل النسق العلمي للبنيوية، فهو عودة صريحة من كلود ليفي ستراوس إلى النظر خارج إطار البنيوية - الكلاسيكية إن شئنا القول-، نحو مفردات وقيم جديدة تحكم الواقعة الإنسانية عموماً (أي من مفهوم الأسطورة وحتى الواقعة الاجتماعية الراهنة).

المطلب الثاني:

وبالرغم من بعض التراجعات التي بدى فيها كلود ليفي ستراوس متقبلاً للمساءلات الفلسفية والنقدية ضد البنيويين، فإنه ظل مخلصاً للنهج البنيوي، لأن التخلي عن الهدف من العلم في المنهج البنيوي لم يكن كافياً لتخليه عن البنيوية أو إعلان الثورة داخلها، بمعنى اكتفى بمجرد تقبل حالة المناقشة العلمية في إطار العلوم الإنسانية غير القابلة للتعميم والتجزيء، بفعل تصاعد الحركة النقدية الفلسفية في أوروبا وأمريكا عموماً وفي فرنسا خصوصاً. وهنا يُلاحظ أيضاً، تأثر كلود ليفي ستراوس بالتحويلات الاجتماعية، وإسقاطها على البحث البنيوي خاصته، ما يجعله محل مساءلة قيمة كذلك، بما هي التخلي عن المبادئ العلمية لصالح الوضع الاجتماعي الظرفي في كثير من الأحيان.

فالرؤية العلمية التي ينظر بها كلود ليفي ستراوس لمبادئ تنظيم العلوم الإنسانية والاجتماعية، ثم يريد الانتقال بها إلى دراسة المجتمع الواقعي، ظلت رهينة أسوار عدم مواكبة وفهم الذات الإنسانية كما ينبغي أن تكون عليه، وهو ذات الأمر الذي يشكل أيضاً عدم إبراز مفهوم الوعي بشكل متناسق، فرد فرديناند دي سوسيرغالبا ما كان يدور حول أن هذه المفاهيم بحاجة إلى حاضنة كلية تستجمع فيها العناصر والمفاهيم لتشكل معنى بنائي قائم ومشترك. وهنا تُثار المسألة من جديد حول، إمكانية استيعاب المنهج البنيوي - علمياً - لحركة المجتمع الإنساني في ظل هذه التصورات التبريرية.

المبحث الثالث: النقد الأنثروبولوجي والأنسنة الاجتماعية.

لقد حاول كلود ليفي ستراوس من خلال النقد الأنثروبولوجي للمجتمعات القديمة، وتحليله لخطاب بنية الأسطورة، أن يجد له طريقاً نحو أنسنة أفكاره، أو تحويلها إلى فلسفة إنسانية لها طابع منافسة الفلسفات السائدة في محيطه الفكري والاجتماعي، فهو يتخذ من الانتماء لتمجيد العقل نسقاً واضحاً لا يتخلل

¹ المرجع نفسه، نفس الموضوع.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

عنه، بما هو الرد على الفلسفات الوجودية والظاهرانية اللتان كانتا تسطعان في أوروبا وفرنسا على الأخص.

المطلب الأول:

الحال أن الممارسات النقدية الأنثروبولوجية التي قام بها كلود ليفي ستراوس لطبيعة العلاقات الاجتماعية، الأسطورة، تاريخ البشر وغيرها، حاولت في النهاية أن توحد رؤية ذات علاقة ثنائية بين الطبيعة والثقافة، فهو يقصي بشكل لافت المجتمعات غير المتعلمة، وبالتالي فإن هذا الإصرار على مواكبة تفسير تاريخ المجتمعات الحيوية له ارتباط بمبررات اعتماد كلود ليفي ستراوس على العقل نفسه داخل هذه المجتمعات حتى يتمكن من فهمها ودراستها، وهذا ما جعله يبحث دائما عن لغة متناسقة واسعة الأداء لإثبات صحة التجارب وقوة التواصل "من ناحية أخرى، فإن الأنثروبولوجيا "تحتاج إلى لغة مشتركة لترجمة التجارب الاجتماعية غير المتجانسة"، والمفردات الحالية، التي تنتجها فئاتنا الاجتماعية، غير مناسبة لها. يجب أن تكون هذه اللغة "مجردة للغاية"¹، فهو يريد الوصول إلى ممارسة منطقية صارمة في التعامل اللغوي لضبط المفاهيم والمعارف لدى كل مجتمع على حدة.

لكن كلود ليفي ستراوس من جهة أخرى، يحاول إبراز رفضه -دائما- للنزعة المثالية، وبالتالي فهو ينساق إلى تجاوز فكرة التناقص بين نظامين نظام ثقافي ونظام طبيعي، وبالتالي فإنه تعرض لمشكلة فكرية جديدة، هي عدم اتفاقه مع أمر المثالية المطلقة التي تمثلها الثقافة ومنه العقل، وفي نفس الوقت لم يستطع التخلي عن الفلسفة العقلية لإبراز المفهوم الإنساني للبنيوية وتجديده وفق دراسة المجتمعات طبيعيا. فهذا التملص المفاهيمي على مستوى كلود ليفي ستراوس تحول لاحقا لمعالجة منهجية غير كافية من حيث المبررات التي قدمها في الفصل بين النظامين اللذين اعتمدا عليهما.

يتفادى كلود ليفي ستراوس هذا الوقوع، فيجدد اختزاله للنسق الثقافي ضمن كل ما هو طبيعي، وهو إلى حد ما؛ تفاد للنزعة الكانطية المثالية، التي كانت تفصل العقل الثقافي عن التشوهات الطبيعية، لكنه لم يستطع التخلي تماما عن الثنائية بين الطبيعة والثقافة من خلال التفسير الأنثروبولوجي للمجتمعات، والنقد الذي قدمه إزاء تطور الإنسان من البني الأولى إلى البنية الاجتماعية؛ "يحتوى 'البني الأولى' بالفعل على جوهر فلسفة كلود ليفي ستراوس في فكرتها الموجهة عن الانتقال من الطبيعة للثقافة، ولقد كشف 'البني الأولى' مجتمعات بدائية كانت قد طورت بنى اجتماعية معقدة للغاية، مستجيبة، وفقا لكلود ليفي

¹Mireille Marc-Lipiansky: le structuralisme de Lévi – Strauss, Op-cit, p 45.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

ستراوس، حاجة إلى التبادلية، التي كانت في الوقت نفسه حاجة طبيعية وشرط إمكان المجتمع¹، فهذا نلاحظ أن كلود ليفي ستراوس، يُحمّل قلق الثنائية على أعتاب النظرة الإنسانية الشاملة، وليست أنظمة مستقلة كأنساق معرفية وغير معرفية، فهو يزيح مبدأ الثنائية بالانتماء إلى العقلانية الطبيعية للإنسان وتطورها الطبيعي، وهو ما ينتقده مجدداً روجيه غارودي باعتبار أن الذات لا يمكن أن تكون شيئاً منفصلاً أو شيئاً لا يحمل تعبيراً ممكناً؛ "إن المسلمة الأساسية المسوّغة لهذا التعميم تتمثل في أن اللغة هي الجذع المشترك لجميع أشكال الثقافة، وأن ابتداء لغة هو بمثابة رسم خط فاصل بين الطبيعة والثقافة، وأن اللغة هي كيان الثقافة بالذات، وأن الإنسان، يتعارض مع الحيوان، يتحدد بالوظيفة الرمزية"²، فهذا الانتقال من الطبيعة إلى الثقافة يتحدد ضمن مسارات اللغة التواصلية، التي تميز البنية الأولى للمجتمع، وهكذا فإن كلود ليفي ستراوس يسير نحو دمج الثقافة في العملية الطبيعية بتقادي جدل ثنائية نسقي الثقافة والطبيعة، لكنه من غير الممكن البرهنة على ذلك حسب روجيه غارودي، بما أن كلود ليفي ستراوس لجأ فقط لتبرير دور اللغة، فاعتبر أنظمة القرابة الأولية بمثابة لغة، وهنا لا يرى أي تقدم من حيث تقديم الفكرة الأساسية لضرورة الجمع بين نسقين طبيعي وثقافي.

وبالنظر لمجموعة المفاهيم التي يعمد لها كلود ليفي ستراوس، فإن الملاحظ غالباً هو اعتماده على فكرة التعميم، وهي أغلب وسيلة يستعملها الأنثروبولوجيين، من أجل الحصول على نتائج واضحة، غير أن كلود ليفي ستراوس يلجأ لمبدأ التعميم عندما يظهر قصور في المعاني الجزئية الخاصة، كالذات، الوعي، الإنسان، الفرد.

المطلب الثاني:

أما على مستوى الانتقال من مفهوم الطبيعة الذي اختزل فيه كل المعاني ذات العلاقة اللا-مادية، إلى مفهوم الإنسانية، فهذا التحول أو تقديم المفهوم الكامل احتاج بدوره لمجموعة من الإجراءات المنهجية والمفاهيمية، أي الجمع بين كل ما هو نفسي واجتماعي من أجل تحقيق تلك العلاقة الرامية بين الإنسان والطبيعة، لتكون علاقة انتقالية تفاعلية، "فلا يمكن أن يختزل الاجتماعي إلى مسألة سيكولوجية الفرد، فالفرد لا يحيا خارج المجتمع لأن السمة المحددة للإنسانية هي قدرتها الرمزية، والنظام الرمزي هو دائماً نظام اجتماعي. إنه فقط من خلال عضوية المجتمع يمكن أن يكون سلوك الفرد رمزياً،

¹ سايمون كلاك: أسس البنيوية (نقد ليفي ستراوس والحركة البنيوية)، مرجع سابق، ص 194.

² روجيه غارودي: البنيوية (فلسفة موت الإنسان)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت (لبنان)، 1979، ص 30.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

ومن ثم إنسانيا، ولا يمكن أن تكون النتيجة سوى أن كلا من النزعة السيكلولوجية والنزعة الفيسيولوجية ينبغي أن نرفضهما، حيث إن الاجتماعي والنفسي متلازمان" فهنا؛ نلاحظ أن كلود ليفي ستراوس يستعمل مجموعة من المفاهيم التي تدور في فلك العلاقة بين الطبيعة والإنسانية، ويشير لها بتنوع وتدرج، واعتمد غالبا، على نفس الصياغة الجامعة بين الطبيعة والثقافة في الجمع بين النفسي والاجتماعي، وهذا ليتقضى مرة

أخرى، ذلك التعميم الذي اعتمد عليه في إبراز دور اللا-وعي في الإدراكات القاعدية والعامية. والحال أن منظومة كلود ليفي ستراوس المفاهيمية، حول الإنسانية، الطبيعة، المجتمع وغيرها، بدأت تتخذ مسلكا مبالغا فيه، حيث أصبح انتقاء المفاهيم -في كثير من الأحيان- أكثر تركيزا من تدقيق الفكرة والمعنى الذي تعمل على إنتاجه، وهذا ليس غريبا على الفلسفة المعاصرة، بما هي فلسفة النزوع نحو المفاهيم والتخلي عن البنى النظرية الأساسية، أي أن التشعيب لمجموعة مفاهيم ضمن إطار واحد لتقديم منظور فلسفي، يفقد أحيانا ما النظرية وزنها، بما أن الطابع الغالب هو محاولة إقحام المفاهيم بدل التأسيس الواضح للنظرية حتى لو لم تتضمن كل هذا الحجم من المفردات والمفاهيم العصرية.

المبحث الرابع: تعدد التصورات حول اللغة والمجتمع.

تسير الاتجاهات البنيوية في جوهرها على جعل كل تصور لشيء ما، هو تأليف من عدة مركبات أخرى، تكونت بنى ذاتيا لتصبح بنية شاملة، وهذه القراءة سادت عند معظم البنيويين، فهي الرباط الأفهومي الخاص بتفسير كل الظواهر والأشياء حتى الطبيعية منها، "يكاد أن يكون كل شيء في هذا العالم، سواء كان مادي أو غير مادي، مؤلفا من أجزاء تربط بينها بعض الروابط، فهو إذا بنية. حتى كأس الماء له بنية، مع أن الماء في داخله قد لا تكون له بنية، اللهم ما لم نحله على المستوى الجزيئي"¹، وانطلاقا من هذا الإسقاط فإن البنية تكتسي طابع الانتقال من التفسير الطبيعي للأشياء إلى التفسير اللغوي -لها-، ثم إلى جعله نموذجا مرتبطا بالفهم الاجتماعي في حد ذاته.

المطلب الأول:

فالبنيوية عند كلود ليفي ستراوس تتخذ هذا المسار الذي يجعل من المجتمعات، التاريخ، الأسطورة، الأعمال الأدبية، اللغة، السياسة.. وغيرها، أنها ذات بنى تراكمية أو تركيبية، تفاعلية في ظروف

أخرى، لكن هذا المنظور تعترضه عدة إشكالات في صميم تفسيره وتأويله من بينها: هو كيف تم جمع

¹ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، مرجع سابق، ص 63.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

هذه البنى؟ وبأي طريقة تم تحديد أجزائها واعتبارها بنية واحدة؟ وما هي الوظائف المحددة لكل جزء حتى تشكل داخل البنية؟ وهل يمكن فعلا إثبات نتائج أو دلالات على هذا الترابط؟

غالبا ما يُرجع كلود ليفي ستراوس المعاني المنبثقة عن البنية إلى دور اللغة في تحديد ذلك، والحقيقة أن اللغة تستمد هذا من وظيفتها الطبيعية وليس لتبرير الأجزاء البنيوية، لأننا لا نملك أخبارا ذات دلالة عملية عن الوظيفية الحقيقية لكل عنصر قبل تشكل البنية مهما كان وصفها. "إن المجتمعات، والأساطير، والأعمال الأدبية وهلم جرا لها بنية لغة. أو في بعض الأحيان لها بنية تعبيرات فردية مستمدة من لغة تشكل أساسا لهذه التعبيرات"¹، إذن؛ هذا هو النموذج القياسي بالنسبة للتفسير البنيوي؛ والحال أنه لا يمكن تعميمه بقدر ما يمكن فقط إسقاطه على أحداث، إجراءات، تجارب محددة، فالطابع العلمي والفلسفي والمنهجي ينفي التعميم عن الظواهر غير الخاضعة لنفس التجربة ونفس المكونات ونفس الشروط.

تضع البنيوية اللغة كنموذج عام قابل للتعميم على مختلف المجالات، بما أن اللغة هي وسيلة التواصل بين الأفراد والمجتمعات، واللغة لن تؤدي أي معنى إلا باستيفائها لشرط التجميع الكلامي، فهي مجموعة مركبة من كلمات مفهومة تدير غاية محددة، تتمثل في إيصال معنى، وتتألف على هذا النحو لغة تواصلية بين الأفراد لتصبح صفة عامة على المجتمع وقد يصبح المجتمع مسمى باسم هذه اللغة، فهي التي تؤسس لطبيعة العلاقات بين التاريخ والأسطورة، العقل والمعنى، ويضيف كلود ليفي ستراوس العلاقة الزوجية كواحدة من أهم النماذج على تطور البنية اللغوية في أداء مهامها ضمن نسق واحد يسمى صلة القرابة.

المطلب الثاني:

لكن لو توجهنا نحو مسألة هذا المعنى الذي يريد البنيويكلو ليفي ستراوس تصديره، فالقياس على اللغة لا يحتمل ضرورة الوصول لنفس المقاربات والنتائج، غير أنها مجرد مثال عن التركيب بين الأجزاء، وقد تتعدى شروط ثقافية أخرى هذا النموذج، عندما يصبح الفن أيضا وسيلة اتصال أسمى، لكن البنيوي سيعود لنفس النمذجة بالقول أن التراكييب هي ذاتها التي تحقق بنية العمل الفني وهكذا، فإن البنيوية التي يدلي بها كلود ليفي ستراوس ستبدو في غالب الأحيان غير مبررة حتى بالنسبة لأقواله عنها، بما أنها لا نهائية في التفسير، على اعتبار اعتمادها على نموذج اللغة الذي يختلف كما وكيفا، محتوى ومعنى، عن بقية الأمثلة أو الظواهر الموجودة.

¹ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، مرجع سابق، ص 63.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

فالسؤال عن الذات مثلاً، سيأخذنا إلى تجاوز كلي لهذا المنظور الضيق للبنيوية، بما أن الذات حسب كل فلاسفة العقل لم يكن لها تركيب سابق، إنما هي ثابتة، وتفسر وجودها بنفسها بما هي تجسيد للذات الإلهية التي لم تعرف أي تركيب تاريخي سابق ولا لغوي.

وقد حاول كلود ليفي ستراوس مع هذا الفهم؛ بأن يطوّر البحث البنيوي المرتبط باللغة إلى منظور عام داخل المجتمع، من خلال تفسيره لكل الظواهر المحيطة بالإنسان، "ومن البنى الأولية للقرابة إلى الفكر المتوحش، ومن المدارات الحزينة إلى المطبوع والنبئ، ومن أصل آداب المائدة إلى من العسل إلى الرماد، حقق ليفي ستراوس بلباقة مثلى تحويل النموذج الألسني، منتقلاً على هذا النحو من نظرية في اللغة إلى نظرية في القرابة، إلى نظرية في العقل، إلى نظرية في الأسطورة، وأخيراً إلى نظرية عامة في المجتمعات"¹، لكن هذا التبرير سيتعارض لا محالة مع العلاقة بين البنية وتطورها، أو بين البنية والسيروية، بما أن لهما فهما آخرًا يخالف الاعتماد على البنى في حضورهما التاريخي والسياقي والاشتقائي.

خاتمة:

ترتمي محاولة كلود ليفي ستراوس إلى تعميم الظاهرة التركيبية للغة على تكوين المجتمع والأسطورة والتاريخ والسياسة والاقتصاد وكل المجالات، والظاهر أن هذا التعميم لا يمكن حدوثه حسب هذا

التصور، إلا فيم هو متقارب مع وضعية اللغة، فحتى وإن وجدت أشكال تقترب من نموذج اللغة فإن أساليبها ونتائجها ومحتواها مختلف، ولا يمكن بأي حال جعل التعميم قاعدة متينة لإحداث تجاوز النظريات السابقة للبنيوية.

تنتاب أطروحة كلود ليفي ستراوس الكثير من الغموض وعدم الوضوح، وهو ما يخالف طبيعة النظريات الفلسفية والأدبية والفكرية، التي تعتمد على قاعدة الوضوح لتقديم تفسيرات مقنعة، تحاول من خلالها الإجابة على الإشكاليات العالقة والتي تثير تساؤلات الإنسان.

انطلاق كلود ليفي ستراوس من المرجعة الماركسية لم يكن موقفاً إلى حد كبير، حيث تظهر أنها نزعة مكتسبة لحماسة الوسط والجو الفكري السائد -عنده-، فهي لم تجب عن الإشكالات الحاصلة في منظومتي العلوم الإنسانية والاجتماعية.

¹ روجيه غارودي: البنيوية (فلسفة موت الإنسان)، مرجع سابق، ص 23.

الرؤية النقدية لكلود ليفي ستراوس حول البنيوية.

من خلال نقد كلود ليفي ستراوس للبنيوية الكلاسيكية، ومحاولته لتقريب نموذج بنيوي قائم على نبدأ التعميم، يُرى أن المنهج البنيوي كله تهاوى أمام عدم إبراز معنى لترابط الأجزاء، وحل مشكلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وكذا علائقية الأسطورة بالتاريخ، فإن عمّد كلود ليفي ستراوس إلى تخريج نموذج بنيوي، فحتّى ما قام به لا يبدو مقنعا، بما آل إليه من نتائج نسبية، غير واضحة، حيث أصبح مبددا لهذه النظرية بشكل أو بآخر.

قائمة المصادر والمراجع.

أ- باللغة العربية.

1. كلود ليفي ستراوس: الأنثروبولوجيا البنيوية، ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دون طبعة، دمشق (سوريا)، 1977.
2. جان بياجيه: البنيوية، ترجمة: عارف منيمه وبشير أوبري، منشورات عويدات، الطبعة الرابعة، بيروت (لبنان)، 1985.
3. روجيه غارودي: البنيوية (فلسفة موت الإنسان)، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت (لبنان)، 1979، ص 30.
4. سايمون كلاك: أسس البنيوية (نقد ليفي ستراوس والحركة البنيوية)، ترجمة: سعيد العلمي، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، القاهرة (مصر)، 2015.
5. عبد الله عبد الرحمن يتيم: الأنثروبولوجيا الفرنسية تاريخ المدرسة وآفاقها، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق (سوريا)، الطبعة الأولى، 2019.
6. ليونارد جاكسون: بؤس البنيوية (الأدب والنظرية البنيوية)، ترجمة: ثائر ديب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، دمشق (سوريا)، 2008، ص 129.

ب- باللغات الأجنبية.

Mireille Marc-Lipiansky: le structuralisme de Lévi – Strauss, Payot, Paris (France), 1973..